مجمع الأمثال

[ص 1] بسم اللّه الرَحمنِ الرَحيم .

إن أحسن ما يُوَشّحُ به صَدْرُ الكلام وأجملَ ما يفصّل به عِقْدُ النّظام حَمْدُ ا ذي الجلال والإكرام والإفضال والإنعام ثم الصلاة على خير الأنام المبتَعثِ من عُنْصُر الكرام وعلى آلِهِ أعلامِ الإسلام وأصحابِهِ مصابيحِ الظلام فالحمد الذي بدأ خَلْقَ الإنسان من طين وجَعَله ذا غَوْرٍ بعيد وشَأوٍ بَطِين يستنبط الكامِنَ من بديع صَنْعته بذكاء فِطْنَته ويستخرج الغامضَ من جَليل فِطْرته بدقيق فِكْرته غائصا في بحر تصرّفه على دررِ مَعَان أحْسَنَ من أيام مُحْسن معان وأبْهَجَ من نيل أمان في ظل صحةٍ وأمان مودِعاً إياها أصْدَافَ ألفاظٍ أخْلَبَ للقلوب من غمزات ألحاظ وأسْحَرَ للعقول من فَتَرات أجفانٍ نواعسَ أيْقَاظ ناظما من محاسنها عُقُودَ أمثال يحكم أنها عَديمةُ أشْبَاهٍ وأمثال تتحلّى بفرائدها صدورُ المحافل والمحاضر وتتسلّى بشواردها قلوبُ البادي والحاضر وتُقَيّد أَوَابِدُها في بطون الدفاتر والصحائف وتطير نواهضُها في رءوس الشواهق وظهور التنَائِف فهي تُوَاكبُ الرياحَ النّكْبَ في مَدَارجِ مهابّهَا وتُزَاحم الأراقمَ الرّقْشَ في مضايق مَدَابّهَا وتحوج الخطيبَ المِصْقَع والشاعر المُفْلِقَ إلى إدماجها وإدراجها في أثناء متصرّفاتها وأدراجها لاشتمالها على أساليب الحسن والجمال واستيلائها في الْجَوْدَة على أمَدِ الكمال وكفاها جلالَةَ قدر وفَخَامة فخر أنّ كتاب ا D - وهو أشرفُ الكتب التي أنزلت على العجم والعرب - لم يَعْرَ من وشاحها المفصل ترائبُ طِواله ومُفَصّله ولا من تاجها المُرَصّعِ مفارقُ مجمله ومُفَصّله وأن كلام نبيه A - وهو أفصح العرب لسانا وأكملهم بيانا وأرْجَحُهم في إيضاح القول ميزانا - لم يَخْلُ في إيراده وإصداره وتبشيره وإنذاره من مَثَل يحوز قَصَبَ السّبْق في حَلْبة الإيجاز ويستولي على أمَدِ الْحُسْن في صَنْعَة الإعجاز أما الكتابُ فقد وُجد فيه هذا النهج لَحِباً مسلوكا حيث قال عز من قائل : { ضَرَبَ ا مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً } وقال : { ضَرَبَ ا مَثَلاً كلمةً طيبةً } يعني كلمة التوحيد { كشجرة طيبة } يعني النخلَةَ { أصلها ثابت وفرعها في السماء } شَبّه ثَبَاتَ الإيمان في قلب المؤمن بثَبَاتها وشَبّهَ صُعُود عمله إلى السماء بارتفاع [ص 2] فروعها في الهواء ثم قال تعالى { تؤتي أكُلَهَا كلّ حينٍ } فشبه ما يكتسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل زمان بما ينال من ثمرتها كل حين وأوان وأمثالُ هذه الأمثال في التنزيل كثير وهذا الذي ذكَرْتُ عن طَويلها قصير وأما الكلام النبوي من هذا الفن فقد

صنف العسكريّ ُ فيه كتابا براسه ولم يأل جَهْداً في تمهيد قواعده وأساسه وأنا أقتصر ههنا على حديث صحيح وقَعَ لنا عاليا وهو ما أخبرنا الشيخ أبو منصور بن أبي بكر الْجَوْزِي أنبأنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم أنبأنا أبو طاهر محمد بن الحسن أنبأنا أبو البحتري أنبأنا أبو أسامة أنبأنا يزيد بن أبي بُرْدَةَ عن أبي موسى الأشْعَرِيّ ِ رضي اللّه تعالى عنه قال : قال رسول ا A : " إنما مَثَلُ الجليسِ الصالِح وجليسِ السوء كحامل المِسْكِ ونافخُ الكِيرِ فحاملُ المسكِ إما أن يُحْذِيَكَ (أحذاه يحذيه : أعطاه) وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبا ونافخُ الكِيرِ إما أن يحرق ثيابك وإما أن تَجِدَ منه ريحا خبيثة " رواه البخاري عن أبي كريب عن أبي أسامة فكأن شيخ شيخي سمعه من البخاري .

وبعد فإن من المعلوم أن الأدب سُلّ َم إلى معرفة العلوم به يُتَوَصّ َل إلى الوقوف عليها ومنه يتوقّ َع الوصولُ إليها غير أن له مَسَالكَ ومَدَارج ولتحصيله مَرَاقِيَ ومَعَارج من رَقِيَ فيها درَجاً بعد درج ولم تهمّ شمسُ تشميره بِعَرَج ظفِرَتْ يَدَاه بمفاتح أغلاقه وملكت كفاه نفائس أعْلاَقه ومن أخطأ مِرْقَاةً من مَرَاقيه بقي في كد الكَدْحِ غيرَ مُلاَقيه وإنّ َ أعلى تلك المراقي وأقصاها وأوْعَرَ هاتيك المسالك وأعصاها هذه الأمثالُ التي هي لُمَاظَاتُ حَرَشَةِ الضّبَاب ونُفَاثات حَلَبة اللّقَاح وحَمَلَة العِلاَب من كل مرتضعٍ دَرّ َ الفصاحة يافعا ووليدا مرتكضٍ في حجر الذّ َلاَقة توأما ووَحيدا قد ورد مَنَاهل الفطنة يَنْبوُعا فينبوعا ونزف مناقع الحكمة لَدُوداً ونَشُوعا فنطق بما يُسِرّ ُ المعبّ ِر عنها حبوا في ارتقاء (هكذا وقع في جميع المطبوعات وأراه محرفا عن " حسوا في ارتغاء " وهو مأخوذ من المثل " يسر حسوا في ارتغاء " وسيأتي في حرف الياء مشروحا) والمشير إليها يمشي في خَمَر ويدبّ ُ في ضَراء ولهذا السبب خفيَ أثرُها وظهر أقلّ ُها وبطن أكثرها ومن حَامَ حول حِمَاها ورام قَطْفَ جَنَاها علم أن دون الوصول إليها خَرْطَ القَتَاد وأن لا وقوف عليها إلا للكامل العَتَاد كالسّ َلَف الماضِينَ الذين نظموا [ص 3] من شَمْلها ما تشتّ َت وجمعوا من أمرها ما تفرّ َق فلم يبقوا في قوس الإحسان مَنْزعا ولا في كِنانة الإتقان والإيقان أهْزَعا والناس اليوم كالمجمِعِين على تقاصُرِ رغباتهم وتقاعُدِ همّ َاتهم عما جاوز حد الإيجاز وإن حرك في تلفيقه سلسلة الإعجاز إلا ما نشاهده من رغبةِ مَنْ عَمَرَ معالم العلم وأحياها وأوضَحَ مناهج الفضل وأبداها وهمةِ مَنْ تجمعت في فؤاده همم ملءُ فؤاد الزمان إحداها وهو الشيخ العميد الأجل السيد العالم ضياء الدولة منتخب المُلْك شمس الْحَضْرة صفيّ ُ الملوك أبو علي محمد بن أرسلان أدام ا علوّه وكبَتَ حاسده وعدوّه فإنه الذي جَذَب بضَبْع الأدب من عَاثُوره وغالى بقيمة منظومه ومنثوره وأقبل عليه وعلى من يُرَفْرِفُ حواليه إقبالَ

مَنْ ألقت خزائن الفضل إليه مقاليدها ووقفت مآثرُ المجد عليه أسانيدها فأبرز محاسن الآداب في أضْفَى ملابسها وبَوَّأها من الصُّدور أعلى منازلها ومجالسها بعد أن حَلَّقت بها العنقاء في بَنَاتِ طَمَار وتضاءلت كتضاؤل الحسناء في الأطْمَار فالحمدُ ﷲ الذي جعل أيامه للحسن والإحسان صورة وعلى الفضل والإفضال مقصورة وجعلها موقوفَة الساعات على صنوف الطاعات محفوفَةَ الساحات بوفود السعادات موصوفة الحركات والسكنات بوفور البركات والحسنات حتى أصبحت حُلِيّاً على لَبَّة الدولة الغراء وتاجا في قِمَّةِ الحضرة الشمَّاء وحِصْنا لملك الشرق حصينا ورُكْنا يؤوي إليه ركينا وأمست على معصمه ومعتصمه سورا وسِوَارا ولوَجْهِ دولته وحُسام سَطْوته غرةً وغِرارا يُسْتَمْطَر النُّجْحُ ببركات أيامه ويستودَعُ الملك حركات أقلامه فﷲ دره من عالم زرَّ بُرْدَاهُ على عالم وأمين بانتظام الملك ضمين ومُطَاع عند ذي الأمر مَكِين يزين بحضوره ديوان عماله ولا يشين بمحظوره ديوان أعماله فعل من تَنَبَّه له الجد فنظرت نفسه ما قدمت لغد وتمكَّن منه الجد فلا الدَّدُ منه ولا هو من دَد وعليه عينة من سيد جُمِعَ له إلى القُدْرة العصمة وإلى التواضع الرفعة والحِشْمة فرَفَلَ من السيادة في أغلى أثوابها وأتى بيوتَ المجدِ من أبوابها وباشَرَ أبكار المكارم فالتزمها واعْتَنَقها وباكر أقداح المحامد فاصطَحَبَها واغتَبَقَهَا فأصبح لا يَطْرَبُ إلا على معنى تكد له الأفهام دون مؤثر تأتي له الإيهام ولا يَعْشَق إلا بناتِ الخواطر والأفكار دون العذَارَى الخُرَّد الأبكار ولا يثافن إلا مَنْ أخلق جَدِيدَيْهِ حتى ملأ من الفضل بُرْدَيه وكَحَّلَ بإثمِدِ السهر جَفْنيه حتى أقرَّ بنيل القرب منه عينيه فتبوَّأ من حضرته [ص 4] المأنوسة جنة حُفَّتْ بالمكارم لا المكاره وروضةً خُصَّت بالمجد الزاهر لا بالأزاهر تنثال عليها أفراد الدهر من كل أوْب وتنصبُّ إليها آحاد العصر من كل صَوْب لا سَلَبَ ﷲ أهل الأدب ظلَّه ولا بلغ هَدْىُ عمرِه مَحِلَّه ما طَلَع نَجْم ونَجَم طَلْع بمنه وكرمه .

هذا ولما تقدر ارتحالي عن سُدَّته عمرها ﷲ بطول مُدَّته أشار بجَمْع كتاب في الأمثال مبرَّزٍ على ما لَه من الأمثال مشتمل على غَثِّها وسَمينها محتوٍ على جاهليها وإسلاميها فعُدت إلى وطني رَكْضَ المنزع شمره الغالي مشمراً عن ساق جِدِّي في امتثال أمره العالي فطالعت من كتب الأئمة الأعلام ما امتد في تقصِّيه نَفَسُ الأيام مثل كتاب أبي عُبَيدة وأبي عُبَيد والأصمعي وأبي زَيْد وأبي عَمْرو وأبي فَيْد ونظرتُ فيما جمعه المفضَّلُ بن محمد والمفضَّلُ بن سَلَمَةَ . حتى لقد تصفحت أَكْثَرَ من خمسين كتاباً ونَخَلْتُ ما فيها فصلاً فصلاً وباباً باباً مفتشاً عن ضَوَالِّها زوايا البقاع مشذِّباً عنها أُبَنَهَا بصارِمِي القَطَّاع علماً مني أني أمَتُّ به الدينار في كف ناقد وأجلو منه البدر لطرف غير راقد يزيده بالنظر فيه رونقاً وبهاء ويكسبه بالإقبال عليه سَناً وسناء ونقلتُ ما في

كتاب حمزة بن الحسن إلى هذا الكتاب إلا ما ذكره من خَرَزَات الرُّقَى وخُرَافات الأَعْرَاب والأمثال المزدوجة لاندماجها في تضاعيف الأبواب وجعلتُ الكتابَ على نظام حروف المعجم في أوائلها ليسهل طريق الطلب على مُتَنَاولها وذكرتُ في كل مَثَل من اللغة والإعراب ما يفتح الغَلَق ومن القَصَصِ والأسباب ما يوضِّح الغرض ويُسيغ الشَّرَق مما جمعه عُبَيْد بن شَرِيَّة وعطاء بن مصعب والشَّرقِيُّ بن القُطَامي وغيرهم فإذا قلت " المفضل " مطلقاً فهو ابنُ سَلَمة وإذا ذكرتُ الآخَرَ ذكرتُ اسمَ أبيه وأفتتح كل باب بما في كتاب أبي عُبَيد أو غيره ثم أعقبه بما على أَفْعَلَ من ذلك الباب ثم أمثال المولدين حتى آتي على الأبواب الثمانية والعشرين على هذا النَّسَق ولا أعدُّ حرفي التعريف ولا ألفَ الوصل والقطع والأمر والاستفهام ولا ألفَ المخبِرِ عن نفسه ولا ما ليس من أَصْلِ الكلمة حاجزاً إلا أن يكون قبل هذه الحروف ما يُلاَزم المَثَل نحو قولهم " كالمستغيث من الرمضاء بالنار " أو بعدها نحو " المستشار مؤتمن " " والمحسن مُعَان " فإني أورِدُ الأول في الكاف والثاني والثالث في الميم وأثبت الباقي على ما ورد نحو " تَحْسَبُهَا حمقاء " و " بيدين ما أوردها زائدة " يكتبان في بابي التاء والباء وجعلتُ الباب التاسع والعشرين في أسماء أيام العرب [ص 5] دون الوقائع فإن فيها كتباً جَمَّةَ البدائع . وإنما عُنِيتُ بأسمائها لكثرة ما يقع فيها من التصحيف وجعلت الباب الثلاثين في نُبَذٍ من كلام النبي A وكلام خُلَفَائه الراشدين رضي ا تعالى عنهم أجمعين مما ينخرط في سِلْكِ المواعظ والحكم والآداب .

وسميت الكتاب " مجمع الأمثال " لاحتوائه على عظيم ما وَرَدَ منها وهو ستة آلاف ونيف وا أعلم بما بقي منها فإن أنفاس الناس لا يأتي عليها الحصر ولا تَنْفَدُ حتى يَنْفَدَ العصر .

وأنا أعتذر إلى الناظر في هذا الكتاب من خَلَل يَرَاه أو لفظ لا يرضاه فأنا كالمنكر لنفسه المغلوب على حِسِّه وحَدْسه منذ حط البياض بعارِضِي رحالَه وحال الزمانُ على سوادهما فأحَالَه وأطار من وَكْرِ هَامَتِي خُدَارِيَّه وأنحى على عُود الشَّباب فمصَّ رِيَّه وملكَتْ يدُ الضعفِ زمامَ قُوَاي وأسلمني مَنْ كان يَحْطِبُ في حبل هَوَاي . وكأني أنا المعنيُّ بقول الشاعر : .

وَهَتْ عَزَمَاتُكَ عند المشِيبِ ... وما كان من حَقِّهَا أن تَهِيَ .

وأنكَرْتَ نفسَكَ لما كَبِرْتَ ... فلا هِيَ أَنْتَ ولا أَنْتَ هِي .

وإن ذكرت شَهَوَاتُ النفوسِ ... فما تشتهي غيرَ أن تشتهى .

وأعيذه أن يَرِدَ صَفْوَ منهلِهِ التقاطا ويشرب عَذْب زُلاله نقاطا ثم يتحزَّم لتَغْوِير مَنَابعه بالتعيير ويتشمر لتكدير مَشَارِعه بالتغيير بل المأمولُ أن يسد

خَللَه ويُصْلح زَلَله فقلما يخلو إنسان من نِسيان وقلم من طغيان .

وهذا فصل يشتمل على معنى المثل وما قيل فيه .

قال المبرد : المثَلُ مأخوذ من المِثال وهو : قولٌ سائرٌ يُشَبّهُ به حالُ الثاني بالأول والأصل فيه التّشْبِيه فقولُهم " مَثَلَ بَيْنَ يَدَيه " إذا انتصب معناه أَشْبَهَ الصورةَ المنتصِبة و " فلان أَمْثَلُ من فلان " أي أَشْبَهُ بما لَه (من) الفضل . والمِثالُ القِصاصُ لتشبيه حالِ المقتَصِّ منه بحال الأول فحقيقة المَثَلِ ما جُعل كالعلم للتشبيه بحال الأوّل كقول كعب ابن زهير : .

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً ... وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلاّ الأبَاطِيلُ [ص 6] .

فمواعيد عرقوب عَلَم لكل ما لا يصح من المواعيد .

قال ابن السِّكّيتِ : المَثَلُ : لَفْظٌ يخالفُ لفظَ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شَبّهُوه بالمثال الذي يُعْمَلُ عليه غيره .

وقال غيرهما : سُمّيت الحكَمُ القائمُ صدقُها في العقول أمثالا لانتصاب صُوَرِها في العقول مشتقّة من المثُول الذي هو الانتصاب .

وقال إبراهيم النظام : يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحُسْن التشبيه وجَوْدة الكناية فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع : إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وآنَقَ للسمع وأَوْسَعَ لشُعُوب الحديث .

قلت : أربعة أحرف سمع فيها فَعَلٌ وفِعْلٌ وهي مَثَلٌ ومِثْلٌ وَشَبَه وَشِبْه وَبَدَل وبِدْل ونكَل ونِكْل فمَثَلُ الشئ ومِثلُه وشَبَهه وشِبْهُه : ما يماثله ويشابهه قدراً وصفةً وبَدَل الشيء وبِدْلُه : غيره ورجل نَكَل ونِكْل للذي ينكل به أعداؤه . وفَعيل لغةٌ في ثلاثة من هذه الأربعة يقال : هذا مَثِيله وشَبِيهه وبَدِيله ولا يقال نكيله فالْمَثَلُ ما يُمَثّلُ بِهِ الشيء : أي يُشّبّهُ كالنّكَل من يُنَكّل به عدوّه غير أن المِثْلَ لا يوضع في موضع هذا المَثَل وإن كان المَثَلُ يوضع موضعه كما تقدم للفرق فصار المَثَل اسماً مصرحاً لهذا الذي يضرب ثم يردّ إلى أصله الذي كان له من الصفة فيقال : مَثَلُكَ ومَثَلُ فلانٍ : أي صفتك وصفته ومنه قوله تعالى : { مَثَلُ الجنّة التي وُعِدَ المتقون } أي صفتها ولشدة امتزاج معنى الصفة به صح أن يقال : جعلتُ زيداً مثلا والقوم أمثالا ومنه قوله تعالى : { ساء مثلاً القومُ } جعل القوم أنفسهم مثلا في أحد القولين وا أعلم . [ص 7]